الظلم الاجتماعي في السنة النبوية الشريفة: الآثار والعلاج ـ دراسة تحليلية ـ

بقلم

د. بشير قادره (*)

ملخص

إشكالية المقالة هو ما تعانيه مجتمعاتنا العربية والإسلامية، من الآثار المدمرة للظلم الاجتماعي، في جميع المجالات.

قيدت المعالجة بالسنة النبوية الشريفة، لمرجعيتها، وصدقيتها في المعالجة، كونها المصدر الثاني للإسلام بعد القرآن الكريم.

جاءت الدراسة في محاور ثلاثة هي: المدخل المفاهيمي: تناول مفاهيم المفردات الأساسية للدراسة.

أما المحور الثاني استعرض آثار الظلم الاجتماعي في السنة النبوية الشريفة. ثم المحور الثالث، كيف عالجت السنة النبوية الشريفة الظلم الاجتماعي، من خلال وثيقة المدينة المنورة، والتنشئة الاجتماعية المسجدية: بما لها من خصائص متميزة، لا تتوفر إلا في السنة النبوية الشريفة. وأخيرا النتائج المتوصل إليها والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: الظلم الاجتماعي، السنة النبوية، آثار الظلم الاجتماعي، التنشئة الاجتماعية المسجدية.

المقدمة

تعيش اليوم كثير من مجتمعات المعمورة أزمات حادة، وعلى الخصوص مجتمعاتنا العربية والإسلامية، ويأتي في مقدمة أسباب تلك الأزمات: الظلم الاجتماعي بكل صوره ومظاهره، ومن مظاهر ذلك الظلم، ما يحظى به بعضهم من امتيازات ظالمة، غير مبررة، ونفوذ لا حد له، تحت

(*) أستاذ محاضر "أ" بقسم العلوم الاجتماعية ـ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ـ جامعة باتنة. 1
gabelhcen@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2018/05/21 تاريخ القبول: 2018/06/12

مسميات متنوعة، وما يحققه ذلك لهم من مكاسب مختلفة، مادية ومعنوية، منها نهب المال العام وحتى الخاص، متجاوزين الشرائع والقوانين، على حساب مصالح عموم المجتمع المادية والمعنوية، مما أفضى إلى تمايز طبقي، وظهور أقلية من الأثرياء إلى درجة الترف، على حساب أكثرية من الفقراء إلى درجة العدم، ذلك التمايز ليس كثمرة لتفوق الأفراد في المجال: العلمي، والإبداع التكنولوجي، والاختراع، والجهد المبذول في العمل، وتكافؤ الفرص،...الخ ؛ وإنما بسبب الظلم الاجتماعي المذكور، الذي سمح لهم بالاستحواذ على مقدرات المجتمع، بغير وجه حق، فأدى ذلك إلى اختفاء الطبقة الوسطى في أغلب مجتمعاتنا العربية والإسلامية، وهي الركيزة الأساسية في حفظ التوازن الاجتماعي، والسلم المدني، واستقرار المجتمعات، لاتساع قاعدتها، متى تحققت العدالة الاجتماعية.

وللظلم الاجتماعي آثار مدمرة كثيرة، منها سحق الفرد، واختلال في العلاقات بين مكونات المجتمع، وتمزيق الشبكات الاجتماعية، وسيادة الكره والحقد في المجتمع، وظهور فتن داخلية كثيرة، وانتشار مرعب للجريمة بكل أنواعها.

وتنامي أفكار الغلو والتطرف ـ خصوصا لدى من أصابهم ذلك الظلم والغبن الاجتماعي ـ فيؤدى ذلك إلى اضطرابات مجتمعية، وخوف شامل يسكن الناس، بسبب غياب الأمن، كل ذلك كثمرة مباشرة أو غير مباشرة للظلم الاجتماعي، وأسوأ شيء في المجتمع أن يخاف الإنسان من مجتمعه، ولا يأمن بوائق من يعيشون معه.

تستعرض هذه المقالة ما ورد في السنة النبوية الشريفة، في موضوع الظلم الاجتماعي، والآثار التي تنجم عنه، وكيف حاربته السنة النبوية الشريفة، لتحقيق العلاقات الاجتماعية العادلة، ومن ثم استقرار المجتمع وتقدمه وتطوره، وما أحوج مجتمعاتنا اليوم إلى التخلص من الظلم الاجتماعي، وحصول الاستقرار والتقدم.

وتم تقييد الظلم الاجتماعي بالسنة النبوية المطهرة لمكانتها، فهي الركيزة الثانية التي يقوم عليها الإسلام بعد القرآن الكريم، مما يعطي للموضوع مرجعية قوية، وعلاجا صادقا، كونه ﷺ لا ينطق عن الهوى. ويتم استعراض ذلك، وفق المخطط التالي:

أولا/ مدخل مفاهيمي:

1. الظلم الاجتماعي. 2. السنة النبوية. 3. الظلم الاجتماعي في السنة النبوية الشريفة. 4. التنشئة الاجتماعية المسجدية.

ثانيا/ آثار الظلم الاجتماعي في السنة النبوية الشريفة.
ثالثا/ علاج الظلم الاجتماعي في السنة النبوية الشريفة.
ثالثا/ 1. من خلال وثيقة المدينة المنورة.
ثالثا/ 2. من خلال التنشئة الاجتماعية المسجدية.
ثالثا ـ 2 ـ 1 / خصائص التنشئة الاجتماعية المسجدية.
ثالثا ـ 2 ـ 2 / مجالات التنشئة الاجتماعية المسجدية في محاربة الظلم الاجتماعي:
أ/ في مجال غرس عقيدة التوحيد.
ب/ في مجال العلاقات الأسرية.
ج/ في مجال المعاملات المالية.
رابعا/ النتائج والتوصيات.

أولا/ مدخل مفاهيمي

ويتم فيه التعريف بالمفاهيم الواردة في المقالة بصورة مختصرة

1/ **مفهوم الظلم الاجتماعي**: سيتم توضيح مفردات كل من الظلم، الاجتماعي لغة واصطلاحا، ثم المدلول الاصطلاحي للكلمتين معا.

أ. الظلم لغة : الظَّلْمُ مَصْدرٌ حقيقيٌّ، والظُّلمُ الاسمُ، يقوم مَقام المصدر، من فعل ظَلَمَ يَظْلِمُ ظَلْماً وظُلْماً ومَظْلمةً[1] ومعناه: وضع الشيء في غير موضعه، أي الجور ومجاوزة الحد، والميل عن القصد.[2]

ب. الظلم اصطلاحاً: مأخوذ من المعنى اللغوي، وهو وضع الشيء في غير موضعه المختص به، إما بنقصان أو بزيادة، وإما بعدول عن وقته أو مكانه. [3]وقيل: هو التعدي عن الحق إلى الباطل، أي الجور. وقيل: هو التصرف في ملك الغير ومجاوزة الحد.[4]

ج. الاجتماعي: اسم منسوب إلى اجتماع، أي تفاعل شخصين فأكثر فيما بينهم، ويتحدد معناه حسب الكلمة التي تسبقه، فيقال مثلا: الإنسان كائن اجتماعي: أي لا يستطيع أن يعيش بمفرده؛ تأمين اجتماعي: أي خدمة المواطنين عامة؛ مكاسب اجتماعية: منافع تعود على المجتمع ككل.[5]

د. الظلم الاجتماعي: عرفه بعضهم بأنه (الاعتداء على حقوق الآخرين من أرض، أو مال، أو حق، أو منع رد الدين لصاحبه، أو التسويف في أدائه، أو السرقة، أو استحلال مال الغير بالرشوة

والخداع)[6].

كما عُرّف بأنه ما يصدر من الظلم المعنوي أو المادي، من بعض أفراد المجتمع تجاه الآخرين، في التعامل معهم، والانحياز عنهم، وتفضيل غيرهم عليهم، أو عدم تحقيق العدل معهم، أو الإساءة إليهم.[7]

2/ مفهوم السنة النبوية الشريفة:

2/أ ـ مفهوم السنة لغة/ من مادة س ن ن، هي: الطريقة، يقال استقام فلان على سنن واحد.[8] أي استقام على طريقة واحدة، سواء كانت الطريقة المُتبّعة محمودةً أم مذمومة، لقوله تعالى: ﴿ **سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلا**﴾.(الإسراء:77). وقوله ﷺ: (مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ).[9] كما تفيد السنة أيضا المسلك أو المنهج.

2/ب ـ مفهوم السنة اصطلاحا /

ـ للعلماء اصطلاحاتهم في تعريف السنة بحسب الأغراض التي عُنِيَتْ بها كل طائفة منهم.[10]

ـ فعند علماء الحديث، السنة ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلْقية أو خُلُقية، أو سيرة.

ـ أما علماء الأصول، فيعتبرون السنة ما تعلق بأقوال وأفعال وتقريرات النبي ﷺ.

ـ كما تطلق السنة على غير الفرائض من نوافل العبادات التي جاءت عن النبي ﷺ وندب إليها.

ـ والمقصود بالسنة النبوية في هذه المقالة، أقوال وأفعال وتقريرات النبي ﷺ.

3/ مفهوم الظلم في السنة النبوية الشريفة:

يتناول هذا العنصر ما ورد في السنة النبوية الشريفة، عن الظلم بأنواعه، بما فيه الظلم الاجتماعي، وكيف يؤثر بعضها على بعض.

عن عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ: الدَّوَاوِينُ عِنْدَ اللَّهِ عز وجل ثَلاَثَةٌ: دِيوَانٌ لاَ يَعْبَأُ اللهُ بِهِ شَيْئاً، وَدِيوَانٌ لاَ يَتْرُكُ اللهُ منه شَيْئاً، وَدِيوَانٌ لاَ يَغْفِرُهُ اللهُ، فَأَمَّا الدِّيوَانُ الذي لاَ

يَغْفِرُهُ الله فَالشِّرْكُ بِاللَّهِ قال الله عز وجل﴿**إنه من يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ الله عليه الْجَنَّةَ**﴾[11]، وَأَمَّا الدِّيوَانُ الذي لاَ يَعْبَأُ الله بِهِ شَيْئاً فَظُلْمُ الْعَبْدِ نَفْسَهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ، من صَوْمِ يَوْمٍ تَرَكَهُ، أو صَلاَةٍ تَرَكَهَا، فإن اللَّهَ عز وجل يَغْفِرُ ذلك وَيَتَجَاوَزُ إن شَاءَ، وَأَمَّا الدِّيوَانُ الذي لاَ يَتْرُكُ اللَّه منه شَيْئاً فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضاً الْقِصَاصُ لاَ مَحَالَةَ)[12]

ـ فقد بين الحديث الشريف أنواع الظلم الثلاثة، وهي: ظلم الله بالشرك، لا شفاعة فيه، وظلم العباد بأكل حقوقهم، لا يسقط إلا بالقصاص. قال ابن تيمية: " ... وظلم الناس بعضهم بعضا لابد فيه من إعطاء المظلوم حقه، لا يسقط حق المظلوم لا بشفاعة ولا غيرها، ولكن قد يُعطى المظلوم من الظالم"[13] والنوع الثالث من الظلم، ظلم الإنسان لنفسه، فقد يتجاوز الله عليه إن شاء، كما قد يُغفر له بالشفاعة.

وأنواع الظلم متداخلة، تأخذ أشكالا مختلفة، ويؤثر بعضها على بعض:

ـ فالشرك بالله: هو أعظم أنواع الظلم، متعلق بالتوحيد، سماه الله الظلم العظيم، قال تعالى على لسان لقمان ﴿ **يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾.(لقمان:13) لأن فيه تسوية بين الخالق عز وجل، والمخلوق، بشرا كان أو صنما، بطريقة من الطرق، وهو قمة الحمق والتجرد من العقل والمنطق، ومن قام بهذا الظلم نحو خالقه، فما يمنعه من القيام ببقية أنواع الظلم الأخرى؟ ومن ثم يعتبر الشرك بالله مدخلا لبقية أنواع الظلم الأخرى.

ـ وظلم الإنسان لنفسه بالوقوع في المعاصي، وتجاوز حدود الله وأحكامه، في أي مجال من المجالات، قال تعالى ﴿**وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ**﴾ (الطلاق:4). وكل أنواع الظلم في نهاية الأمر هي ظُلمٌ للنفس، لأن عاقبة ذلك تعود على الظالم في الدنيا والآخرة، فمن أشرك بالله لن يضر الله شيئا وإنما يضر نفسه، بما سيناله من الضلال في الدنيا، وعقوبات الآخرة؛ ومن منع الزكاة مثلا وهي حق للآخرين، فقد ظلم نفسه بما سيناله من العقوبة في الدنيا بمحق البركة في المال وغيرها، والعقوبات الشديدة في الآخرة؛ ومن ارتكب الفواحش فقد ظلم نفسه، لما سيلحقه من إصابته بالأمراض الخطيرة في الدنيا. وعقوبات الآخرة.

ـ والظلم الاجتماعي يأخذ أشكالا مختلفة، وكلما تقدم الزمان، وتعقدت العلاقات وتشابكت المصالح، ظهرت ألوان جديدة للظلم الاجتماعي، وهو انتهاك للحقوق العامة للناس، بممارسة التمييز ضدهم على أسس قبلية، أو عرقية، أو لغوية، أو مذهبية، أو غيرها من الاعتبارات، وقد يكون القائم بهذه الممارسات الظالمة غير السلطة السياسية، مع أنها هي الأقدر على ممارسة الظلم أو

تطبيق العدل.[14]

4/ مفهوم التنشئة الاجتماعية: لم يظهر في عنوان المقالة، ولكنه من عناصرها الأساسية. لأن جل توجيهات النبي عليه الصلاة والسلام، كانت تتم في المسجد. وهي بمثابة التنشئة الاجتماعية بالمفهوم الاصطلاحي اليوم.

أ/ التنشئة الاجتماعية في اللغة:[15]

ـ من (القاموس المحيط)/ نشأ نشْأً ونشوءًا ونشاءً ونشأة ونشاءةً: حيي وربا وشب. والناشئ: الغلام والجارية جاوزا حد الصغر؛ والنشيئة: ما نهض من كل نبات ولم يغلظ بعد.

ـ أما في (مقاييس اللغة) نشأ: فلان في بني فلان؛ والناشئ: الشاب الذي نشأ وارتفع وعلا.

ـ وفي (لسان العرب) جارية مُولّدة: تولد بين العرب وتنشأ مع أولادهم... ويعلمونها من الأدب مثل ما يعلمون أولادهم. وعليه فالتنشئة الاجتماعية لغة من فعل نشأ، وتفيد معاني متكاملة منها: مرحلة عمرية، يشب فيها الناشئ في مكان ما، يتعلم منه القيم والموروث الثقافي لذلك الوسط الذي عاش فيه. ومن اللغة أخذت العلوم الاجتماعية المفهوم، ولكن بتدقيق أكثر.

ب/ التنشئة الاجتماعية في العلوم الاجتماعية: إن المقالة تعالج الظلم الاجتماعي في السنة النبوية، لكن كون مصطلح التنشئة الاجتماعية، من المصلحات الأساسية في العلوم الاجتماعية، فجاء توضيحه أيضا من منظور العلوم الاجتماعية.

التنشئة الاجتماعية (la socialisation) يقصد بها في العلوم الاجتماعية (غرس المعايير الاجتماعية، فتصبح من الذاتية الشخصية لدى الفرد، من خلال نقل ثقافة المجتمع للفرد، وتبدأ أولا بتنشئة الأطفال في الأسرة، ثم التنشئة المدرسية)[16]وتسهم بقية مؤسسات المجتمع في التنشئة الاجتماعية بطريقة أو بأخرى. ومنهم من وصفها بأنها (هي التمرير لرسالة تربوية، للأفراد محل التشكيل الاجتماعي، من جيل لآخر. فهي تربية الفرد وتوجيهه، والإشراف على سلوكه، وفق مقومات المجتمع الذي يعيش فيه، ليندمج فيه ويصبح واحدا منهم، له مالهم وعليه ما عليهم)[17]. وأهم مؤسساتها اليوم، هي الأسرة والمدرسة ومؤسسة العبادة(المسجد عندنا)، وتسهم فيها بقية مؤسسات المجتمع بدرجة مكملة.

ثانيا/ آثار الظلم الاجتماعي في السنة النبوية الشريفة:

وقد استعرضت المقالة آثار الظلم الاجتماعي في السنة النبوية الشريفة حصرا، ولم تتجاوزها إلى ما سواها قصدا، حتى يتم إبراز دور السنة الشريفة في محاربة الظلم الاجتماعي، من خلال الترهيب من آثاره المدمرة للجميع، ظالما ومظلوما.

ـ أما ظالما من باب تحذيره، لما سيلحقه بسبب ظلمه، في الدنيا والآخرة، لاعتدائه على حقوق الآخرين بغير وجه حق، حتى يكف عن فعله الظالم، حماية لنفسه من تبعات الظلم في الدارين.

ـ ومظلوما لما يسببه له الظلم من ضياع حقوقه، وما يخلّفه له من آثار نفسية واجتماعية مدمرة، قد تدفعه لردود أفعال غير محسوبة النتائج، فتعود على الجميع بأسوأ النتائج في الدارين؛ مما يدفع الجميع للتآزر بالأخذ على يد الظالم، واسترجاع الحقوق منه.

وقد بينت السنة الشريفة، آثار الظلم على الظالم نفسه، مما يجعل إبراز تلك الآثار على الظالم، صورة من العلاج النبوي، لمشكلة الظلم الاجتماعي، حتى لا يقع، ويزال إن وقع. وهذه مجموعة من تلك الآثار من خلال أحاديث شريفة منتقاة.

1ـ الظلم يمحق العمل الصالح، بأخذ حسنات الظالم، وحمله لسيئات المظلومين: قال رسول الله ﷺ: (مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ لَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلَمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ)[18]

2 ـ دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب:قال رسول الله ﷺ: (اتقوا دعوة المظلوم وإن كان كافرا، فإنه ليس دونها حجاب)[19]، أي أن الله يستجيب لدعوة المظلوم، دون الالتفات لدينه، أي حتى ولو كان كافرا.

3 ـ الظلم ظلمات يوم القيامة: قَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: (اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...)[20]

لأن يوم القيامة ليس هناك نور إلا من أنار الله تعالى له، بقدر إسلامه وأعماله الصالحة، فإن كان ظالماً فقد من هذا النور بمقدار ظلمه.

4 ـ حتى الشاة الجلحاء تأخذ حقها من القرناء ! قال رسول الله ﷺ: "لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء. (الجلحاء: التي لا قرن لها)، وإذا كان

أخذ الحقوق وارد حتى من الحيوانات، فالإنسان من باب أولى.

5 ـ النبيء بريء ممن أعان ظالما: قال رسول الله ﷺ: «سيكون أمراء يغشاهم غواش أو حواش من الناس، يظلمون ويكذبون، فمن أعانهم على ظلمهم وصدّقهم بكذبهم فليس مني ولا أنا منه، ومن لم يصدّقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم، فأنا منه وهو مني ».[21]

6ـ دعاء النبي ـ ﷺ بالمشقة على من شق على أمته، وبالرفق على من رفق بها: «اللّهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشقّ عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم فارفق به».[22]

هذه بعض آثار الظلم الاجتماعي، التي تلحق بالظالم، وتؤثر عليه في الدنيا والآخرة، ردعا له، حتى لا يقع فيه.

ثالثا/ علاج السنة النبوية للظلم الاجتماعي :

ـ وقد تبين أن ما ورد في عنصر آثار الظلم، هو في حد ذاته يدخل في العلاج، بالإضافة إلى ما سيرد في وثيقة المدينة المنورة في موضوع الظلم، وهي بمثابة الدستور الضابط، وكذلك ما سيرد عنه عليه الصلاة والسلام، في مجالس التنشئة الاجتماعية المسجدية. إذ تقوم المجتمعات اليوم على ركيزتين أساسيتين هما: التنشئة الاجتماعية في مجال بناء الإنسان، ثم يأتي الضبط الاجتماعي، لإلزام المخالفين بقوة القوانين المستمدة من الدستور، حيث تتآزر سائر مؤسسات المجتمع بالقيام بالتنشئة الاجتماعية في البداية، وإذا لم يستجب بعض الأفراد لها، لسبب من الأسباب، يأتي دور مؤسسات الضبط الاجتماعي الإلزامي.

ـ وكانت وثيقة المدينة المنورة بمثابة الدستور اليوم، كما كان المسجد في عهده ـ ﷺ ـ يحل محل جميع مؤسسات التنشئة الاجتماعية اليوم.

ـ وهذه النصوص الواردة في وثيقة المدينة المنورة عن الظلم، وكذلك ما ورد في مجالس التنشئة الاجتماعية المسجدية.

ثالثا/ 1ـ الظلم في وثيقة المدينة المنورة

لقد أصدر النبي ﷺ مباشرة بعد الهجرة إلى المدينة المنورة، وثيقة لتنظيم العلاقة بين أطياف المجتمع في المدينة، بين المؤمنين من مهاجرين وأنصار، وعرب مشركين، ويهود، وهذه الوثيقة التي تمثل أول دستور مدنى في التاريخ الحديث، أقامت مجتمعا متعدد الديانات، في كنف السلم المدني،

والانتماء للوطن الواحد، وتقديم مصلحة الوطن واستقراره على مصلحة الانتماء القبلي أو الديني، من خلال منع الظلم الاجتماعي من الوقوع، وبإزالته إن وقع.

وبالقراءة العميقة والتحليلية لتلك الوثيقة، سنجد أن النبي ﷺ قد أعطى اهتماما كبيرا للعدل والقسط الذي يجب أن يسود المجتمع، وغلق كل المنافذ التي يمكن أن يتسرب منها الظلم والبغي والعدوان، وأسس لبناء مجتمع في كنف العدل، كون العدل هو الأساس الذي يقوم عليه المجتمع، ونقيضه الظلم الاجتماعي، الممزق لعرى المجتمع، والمدخل لكل الفتن والاضطرابات الداخلية، التي تزعزع استقرار المجتمع وتهدم ركائزه.

وما يلاحظ في هذه الوثيقة التركيز على لفظة الظلم بعينها، أو بمشتقاتها، أو بالكلمات المضادة للظلم، حيث وردت كلمة الظلم في الوثيقة ذات الصفحتين 5 مرات، ووردت مشتقاتها 3 مرات وهي كلمات: ظالم ومظلوم ومظلومين، وكلمة بغي وهي هنا مرادف لكلمة ظلم مرة واحدة (1) وكلمة ـ عدوان ـ وهي هنا تفيد الظلم، مرة واحدة (1) ووردت كلمة القسط وهي هنا بمعنى العدل، المقابل للظلم (8) وكلمة عدل مرة واحدة(1) أي بمجموع (19) كلمة: تسعة للقسط والعدل، وعشر كلمات لنقيضه وهو الظلم والبغي والعدوان.

وتدل كلمات الظلم في هذه الوثيقة بأنها تتعلق بالظلم الاجتماعي، وليس الظلم المتعلق بالشرك، كون أن مجتمع المدينة لم يكن مسلما مائة بالمائة، فقد كان فيه أيضا اليهود والمشركون.

وقد استبقت السنة النبوية الشريفة إلى محاربة الظلم الاجتماعي، لخطورته، وأخذ مساحة كبيرة جدا في هذه الوثيقة، التي تعتبر اللبنة الأولى في تأسيس المجتمع الأول، في عهده ﷺ. كما ركزت على الجوانب الاجتماعية الأخرى، ذات الصلة بالظلم الاجتماعي، كالجريمة، من خلال تطبيق القصاص فمن قتل مؤمنا قُتل به (وإنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول)، وفي مجال دفع الديات (المهاجرون من قريش على رِبعتهم ـ الحال التي وجدهم عليها الإسلام ـ يتعاقلون بينهم، أي يعقل بعضهم عن بعض والعقل الدية) وفي المجال الاجتماعي بينت الوثيقة طرق مساعدة المثقل بالدين والعيال، وهذه البنود كلها في هذه الوثيقة الصغيرة الحجم كبيرة المعاني والتطبيقات في مجال إقامة العدل ومحاربة كل أنواع الظلم الاجتماعي وما يتصل به ويترتب عنه.[23]جاء فيها ما يلي:

ـ (هذا كتاب من محمدٍ النبي ﷺ بأنّ المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم، وجاهد معهم، إنّهم أمّة واحدة من دون الناس .

ـ المهاجرون من قريش على رِبعتهم (الحال التي وجدهم عليها الإسلام) يتعاقلون بينهم (أي يعقل بعضهم عن بعض، والعقل: الدية)، وهم يفْدون عانيَهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين.....وذكر بعد ذلك القبائل والطوائف ـ وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

ـ وإنّ المؤمنين لا يتركون مُفْرَحًا (أي المثقل بالديْن والعيال) بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل.

ـ وإنّ المؤمنين المتّقين على من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة (كبيرة) ظلم، أو عدوان، أو إثم أو فساد بين المؤمنين. وأن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم.

ـ وأن من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم.

ـ وإنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينة فإنه قود به إلا أن يرضى ولي المقتول.

ـ وإن يهود بني عوف، أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتع إلا نفسه وأهل بيته ... إلا من ظلم ... وأن النصر للمظلوم.

ـ وإنّ المؤمنين بعضهم مولى بعض، دون الناس، وإنّه من تبعنا من يهود فإنّ له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم، وإنّ سلم المؤمنين واحدة، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله، إلاّ على سواء وعدل بينهم .

ـ وإنّ على اليهود نفقاتهم، وعلى المسلمين نفقاتهم، وإنّ بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وأنّ بينهم النصح والنصيحة، والبرّ دون الإثم، وإنّه لم يأثم امرؤ بحليفه، وإنّ النصر للمظلوم...).

ثالثا/2ـ مجالس التنشئة الاجتماعية المسجدية في عهده ﷺ ودورها في محاربة الظلم الاجتماعي

المسجد هو صمام الأمان في مجتمعاتنا الإسلامية، لما ينشّئ عليه من قيم الخير والصلاح والعدل، وأي تنشئة لا يشارك فيها المسجد تبقى منقوصة الدور، لخصائص لا تتوفر إلا في المسجد، وأفضل مرحلة قام فيها المسجد بدوره كاملا، هي الفترة النبوية، حيث توفرت فيها جميع خصائص بناء الإنسان الرسالي، في أعلى مراتب الكمال، من المادة الموجَّه بها، وهي الإسلام في شموله وصفائه والوحي يتنزل، ولا منافس له من أي مشروع آخر على مستوى المجتمع، وعظمة الموجه القدوة في كل شيء محمد ﷺ، إذ ما من خير إلا وقد حث عليه وأمر به، وما من شر إلا وقد حذر

منه ونهى عنه، (...مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ)[24] ويدخل في مجال ما حذر منه ونهى عنه الظلم بكل أنواعه بما فيه الظلم الاجتماعي، ثم أن المسجد في عهده ﷺ كان القاطرة التي تجر المجتمع، ولا يؤثر عليه شيء آخر أبدا. ويستطيع المسجد حتى في يومنا هذا ـ رغم ظروف التغير الاجتماعي، والغزو الثقافي والفكري، ووسائل الإعلام الجديد ـ أن يكون فاعلا وفي كل الظروف، لأسباب وخصائص لا تتوفر إلا في التنشئة الاجتماعية المسجدية.

ثالثا/3ـ خصائص التنشئة الاجتماعية المسجدية

أ/ استيعابها لكل الفئات الاجتماعية: حيث التنشئة الاجتماعية المسجدية موجهة لكل فئات المجتمع، حيث يؤم المسجد كل الأعمار والمستويات من الجنسين ذكورا وإناثا، فيؤمه الكبير والصغير، المرأة والرجل، العالم ومتوسط العلم وحتى الأمي.

ب / قداسة قيم التنشئة المسجدية: إن التوجيه المسجدي ينطلق من النصوص الشرعية، للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أقوالا وأفعالا وتقريرات وسيرة عطرة، وما اشتق منها، مما يعطي للقيم المنبثقة من هذه النصوص قداسة خاصة، يُحتَكم إليها، ولا يُعترض عليها، لا سيما أن المخاطبين، هم المؤمنون بها، المرتادون للمساجد، وهي قيم تحمل أحكاما شرعية للعمل بها، شريطة أن يحسن الخطيب حسن الاستدلال ومنهجية التوصيل في توجيهه.

ج/ شمولية قيم التنشئة المسجدية لبعدي سعادة الدنيا وجزاء الآخرة: إن التنشئة المسجدية متميزة عما سواها، لأنها شاملة لبعدي الدنيا والآخرة، تنمي في الإنسان كل ما يسعده في دنياه، ويحقق له فلاحه في آخرته، تجمع له بين مطالب الجسد المادية، وحاجاته الروحية ﴿ **وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ، وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا** ﴾ (القصص:77)

د/ حضور فريضة صلاة الجمعة: صلاة الجمعة شعيرة مفروضة على المؤمنين، لقوله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾.(الجمعة:9)، لا يتخلف عنها بدون عذر شرعي مقبول إلا غافل، قريب من النفاق، لقوله ﷺ: «لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات، أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين».[25] أما ذوو الأعذار الشرعية هم الذين بينهم الحديث الشريف (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة يوم الجمعة إلا مريضا أو مسافرا أو امرأة أو صبيا أو مملوكا)[26]

هـ/ جو الانصات والخشوع في صلاة الجمعة: الإنصات والخشوع، في جو روحاني، وراحة نفسية، صفة ملازمة لخطبة صلاة الجمعة، والإنصات من الشروط الأساسية المكملة لخطبة صلاة

الجمعة، لأنه بدون إنصات وتركيز لن يُفهم عن الخطيب ما يقوله، ومن ثم فلا معنى لخطبة صلاة الجمعة، لما ورد من النصوص الشرعية التي تبين أحكام صلاة الجمعة، من الاغتسال والتبكير، وعدم تخطي الرقاب، والإنصات وعدم التكلم، ومن تكلم فقد بطلت جمعته، لقوله ﷺ «مَنْ تَكَلَّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ فَهُوَ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا وَالَّذِي يَقُولُ لَهُ أَنْصِتْ لَيْسَ لَهُ جُمُعَةٌ»[27] فمن حاول أن ينهى عن المنكر في هذه اللحظة بطلت جمعته ومن باب أولى من تكلم.

ثالثا/4ـ طرق محاربة الظلم الاجتماعي في مجالس التنشئة الاجتماعية المسجدية النبوية.

تنوعت أساليب وطرق محاربة الظلم الاجتماعي، في مجالس التنشئة الاجتماعية المسجدية النبوية، وهذه نماذج لها:

أ/ غرس عقيدة التوحيد: أول ما قام به النبي ﷺ أنه غرس عقيدة التوحيد لدى المسلمين. فعرفهم بالله الواحد الأحد، ووجّههم إليه وحده لا شريك له، ممتثلين أوامره، مجتنبين نواهيه في كل شيء، بما في ذلك الظلم الاجتماعي، لأنه فعل محرم ومنهي عنه.

ـ وقد استغرق غرس عقيدة التوحيد، في نفوس المسلمين، تأصيلاً وتصحيحاً، الجزء الأكبر من جهده ووقته عليه الصلاة السلام، فقد قضى ثلاثا وعشرين سنة في الدعوة إلى الله. منها ثلاث عشرة سنة في مكة، جلها كانت في الدعوة إلى تحقيق (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ونبذ الشرك وعبادة الأوثان وسائر الوسطاء، ونبذ البدع والمعتقدات الفاسدة. ومنها عشر سنين في المدينة، وكانت موزعة بين تشريع الأحكام، وتثبيت العقيدة، والحفاظ عليها، وحمايتها من الشبهات، والجهاد في سبيلها، أي أن أغلبها في تقرير عقيدة التوحيد وأصول الدين. وكلما صحت عقيدة التوحيد ورسخت في نفوس المسلمين، ضاقت مساحة الظلم الاجتماعي في سلوكهم ومعاملاتهم، كثمرة للتعلق بالدنيا.

ـ أخرج البخاري عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرحل قال: يا معاذ، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: يا معاذ، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك. قال: يا معاذ، قال: لبيك يا رسول الله وسعديك – ثلاثا – قال: ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه إلا حرمه الله تعالى على النار .قال: يا رسول الله، أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: إذا يتكلوا. فأخبر بها معاذ عند موته تأثما[28]ـ أي حتى لا يلحقه إثم كتمان العلم.

فلأهمية شهادة التوحيد ـ لا إله إلا الله ـ في حياة المسلم وبعد مماته، نادى النبي ﷺ ثلاث

مرات على معاذ وهو رديفه على الراحلة، لينتبه معاذ لما سيأتي بعد هذا النداء، فبين له فضل لا إله إلا الله لمن قالها بصدق ويقين وإخلاص. ومتى تم غرس عقيدة التوحيد بطريقة صحيحة، انحلت كل مشاكل الناس، بما فيها الظلم، بكل صوره وأنواعه، لأن من مقتضيات التوحيد، الخضوع لأوامر الله ونواهيه، وقد نهى عن الظلم واقترافه. وجعل الحساب عليه عسيرا.

ب/ تحريم الظلم مطلقا:

من القيم المسجدية التي ينشأ عليها رواد المساجد، تحريم الظلم، الذي جاء في الحديث القدسي «يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا...»،[29] فالله سبحانه وتعالى ـ وهو الذي لا يحدُّ من إرادته وقوته شيء، ومع ذلك يحرم الظلم على نفسه، ويدعو عباده إلى اجتناب الظلم فيما بينهم.

ج/ محاربة الظلم على مستوى الأسرة:

إن الأسرة هي الخلية الأساس في المجتمع، أي خلل فيها سيؤثر عليها سلبا، ويمنعها من قيامها بجميع أدوارها.

بما فيها التنشئة الاجتماعية الصالحة، وبناء الإنسان الذي يدعو إليه الإسلام، فينعكس ذلك سلبا على المجتمع برمته، وعلى علاقاته الاجتماعية، لذلك حث النبي ﷺ على جميل العشرة، وحسن المعاملة، لاسيما على مستوى الأسرة، وتحريم أي ظلم يقع على أفرادها، وهذه بعض الأحاديث في الموضوع.

ج/1 ـ النهي عن ظلم الزوجات وعدم العدل بينهن قال ﷺ: من كانت له امرأتان فمال مع إحداهما جاء يوم القيامة وشقه مائل"[30] فالظلم كله مدمر، وعلى مستوى الأسرة أكثر تدميرا، لأنه جاء ممن يفترض فيه حماية الأسرة من الأخطار الخارجية، وإذا به يمارس الظلم على أقاربه.

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة ... على النفس من وقع الحسام المهند.

ج/2 ـ العدل بين الأبناء: إذ نهى النبي ﷺ عن تخصيص أحد الأبناء بالعطية دون بقية إخوته، فعن النعمان بن بشير أنه قال أن أباه أتى به إلى رسول الله ﷺ فقال إني نحلت ابني هذا غلاما، فقال أكل ولدك نحلته مثل هذا؟ فقال: لا، قال رسول الله ﷺ: فارتجعه، وفي رواية أخرى أليس يسرك أن يكونوا في البر واللطف سواء؟ قال: نعم، قال: فاشهد على هذا غيري[31].

ج/3 ـ الإحسان إلى الأهل: وفي مقابل نهيه ﷺ عن السلوكات غير العادلة على مستوى

الأسرة، حث على الإحسان إلى الأهل، وجعله الخير كله، وفي ذلك قال ﷺ: (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي)[32]. ومعناه الإحسان إلى الزوجة والعيال، والإحسان مرتبة أعلى من العدل، وهذا الإحسان إلى الأهل من الأعمال والقربات التي يحبها الله، وفاعله من خيرة الناس، قال صاحب تحفة الأحوذي في شرحه لهذا الحديث: قوله :خيركم خيركم لأهله :أي لعياله، وذوي رحمه، وقيل لأزواجه وأقاربه، وذلك لدلالته على حسن الخلق. ومنه يتضح أن الإحسان إلى الأهل هو منطلق كل الخيرات.

د / محاربة الظلم الاجتماعي في مجال الأموال حتى لايقع:

في هذا العنصر تم استعراض مجموعة من أحاديث النبي ﷺ في مجال التنشئة الاجتماعية للفرد المسلم، وتحذيره من أكل أموال غيره بالباطل، في أي شكل من الأشكال، كالرشوة، واستغلال المنصب، والغش، والمماطلة في رد حقوق الآخرين، واليمين الكاذبة في أكل أموال الناس، وعدم استيفاء أجر الأجير، فهي كلها من الظلم الاجتماعي، تؤدي بصاحبها إلى النار، وقد برئت منه ذمة النبي عليه الصلاة والسلام.

د/1 " ...إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا..."[33]. في هذا الحديث أنواع من الظلم الاجتماعي المحرمة، منها: أكل أموال المسلمين. وأكد الحديث الموالي أن ما ينبت من لحم بأكل تلك الأموال مصيره النار، أي هي من الكبائر.

ـ (كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به)[34]. قال المناوي: (كل جسد) وفي رواية (كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به) هذا وعيد شديد يفيد أن أكل أموال الناس بالباطل من الكبائر، قال الذهبي: يدخل فيه المكاس، وقاطع الطريق، والسارق، والخائن،... ومن استعار شيئا فجحده، ومن طفف في وزن أو كيل، ومن التقط مالا فلم يعرفه وأكله ولم يتملكه، ومن باع شيئا فيه عيب فغطاه، والمقامر، ومخبر المشتري بالزائد، هكذا عد هذه المذكورات من الكبائر. مستدلا عليها بحديث (كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به). (فيض القدير:5/33) وعليه فهذان الحديثان الشريفان (...وأموالكم..) و(كل جسد نبت ...) يعتبران معلما كبيرا في التحذير من الظلم الاجتماعي المالي، حيث بين الأول الحرمة الشديدة لأكل أموال المسلمين بالباطل، وتشبيه ذلك بالحرمات الثلاث: حرمة اليوم، وحرمة الشهر، وحرمة البلد؛ أما الحديث الثاني فبين أن جزاء أكل أموال المسلمين بالباطل هو النار، مما يعني أن ذلك من الكبائر، كما قاله المناوي وغيره، وبين الذهبي في شرحه للحديث الثاني بعض الصور لأكل أموال الناس بالباطل.

د/2 ـ قال النبي ﷺ: (إنّ رجالا يتخوّضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة)[35] قال الحافظ بن حجر (يتخوّضون في مال الله بغير حقّ) أي يتصرّفون في مال المسلمين بالباطل. الفتح (ج 178/7)

ـ هذا التوضيح للحديث من ابن حجر بأن من يتخوض في مال الله بغير حق، أنه يتصرف في مال المسلمين بالباطل، ينطبق على حيل الظلم الاجتماعي بأكل المال العام (وهو من مال المسلمين)، وحرمان عموم المسلمين من حقوقهم بطرق شتى: يدخل فيها الرشوة، واستغلال النفوذ، والمحسوبية، وكل أساليب الاستيلاء على المال العام بغير وجه حق.

ـ قال القرطبي: اتفق أهل السنة على أن من أخذ ما وقع عليه اسم مال قل أو كثر أنه يفسق بذلك، وأنه محرم عليه أخذه. القرطبي (2 / 337 ـ 341)

ـ وقد اعتبر ابن حجر الهيتمي الاستيلاء على أموال الغير ظلما من الكبائر واستدل بالحديث الشريف الآتي/

د/3 ـ (لعن رسول الله ﷺ الرّاشي والمرتشي في الحكم)[36] أي أبعد الله عن رحمته كل من يدفع مالا بغير وجه حق، لإحقاق باطل، أو إبطال حق.

د/4 ـ وفي الحديث الشريف: (من استعملناهُ منكم على عملٍ، فكتمنا مخْيطا فما فوقه، كان غُلولاً يأتي به يوْم القيامة)[37] . أي من جعلناه منكم عاملا، فكتمنا مخيطا، وهو دلالة على صغر وحقارة ذلك الشيء المكتوم، اعتبر ذلك الفعل غلولا أي خدعة وجناية، وجزاؤه أن يفضح على رؤوس الخلائق غدا يوم القيامة.

د/5 ـ مرَّ رسول الله ﷺ على صُبْرَةٍ من طعام. فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللاً فقال: (ما هذا يا صاحب الطعام ؟ قال: أصابته سماء يا رسول الله قال: أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟ من غشّ فليس مني)[38]

د/6 ـ الظلم الاجتماعي طريق للإفلاس يوم القيامة ودخول النار:

(إنَّ المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته من قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار)[39]. احتوى هذا الحديث على محرمات تؤدي إلى الإفلاس غدا يوم القيامة منها أكل أموال الناس

بالباطل.

د/7ـ المماطلة في أداء الحقوق لمستحقيها ظلم حتى ولو كانوا أغنياء:

قال رسول الله ﷺ: (مطل الغني ظلم)[40] والمقصود من الحديث أن المماطلة في إعطاء الغني حقه ظلم، وإذا كانت المماطلة في إعطاء الغني حقه من الظلم، فإنه من باب أولى أن تكون مماطلة الفقير المحتاج لحقه، ظلم أكبر.

د/ 8 ـ سلب حقوق الآخرين باليمين الكاذبة موجب للنار:

قال رسول الله ﷺ: (من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار و حرم عليه الجنة، قيل: يا رسول الله و إن كان شيئاً يسيراً؟ قال: وإن كان قضيباً من أراك.[41]

د/9ـ من لم يعط أجر الأجير فالله خصمه غدا يوم القيامة:

قال رسول الله ﷺ: يقول الله تعالى: " ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته:... ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعط أجره"[42]. أي من لم يعط العامل حقه من الأجر، فهذا من الظلم الاجتماعي، وسيتولى الله مخاصمة الظالم لاستيفاء حقوق المظلوم غدا يوم القيامة.

هـ / إزالة الظلم الاجتماعي بعد وقوعه:

يزال الظلم الاجتماعي بعد وقوعه، من خلال النصوص النبوية التالية.

ـ قاعدة: (لا ضرر ولا ضرار).[43]وهي حديث شريف، واتخذ قاعدة فقهية، وهي تنفي وجود الضرر في الشريعة الإسلامية أصلا ـ لا ضرر ـ وأيضا بالنهي عن إضرار العباد بعضهم لبعض، والظلم ضرر بصورة من الصور، والمكلف منهي عن كل فعل يترتب عليه إضرار بالآخرين، سواء قصد صاحبه الإضرار أم لم يقصد، وأيضا وجوب إزالة ذلك الضرر، كما جاء في سبب ورود الحديث، بإزالة الضرر والقضاء عليه.

حديث ـ (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)[44].

لقد بين هذا الحديث الشريف المراتب الثلاثة في إنكار المنكر؛ والظلم كيفما كانت صوره، بما فيها الظلم الاجتماعي، هو من المنكر، لما يترتب عليه من أذى للآخرين، بسلب حقوقهم

الاجتماعية المتنوعة. فيجب إنكاره باليد على كل من تمكّن من ذلك، ولم يُؤدّ إنكاره إلى مفسدةٍ أكبر، فإذا عجز عن التغيير باليد، فإنه ينتقل إلى الإنكار باللسان، فيذكّر العاصي المتجاوز لحدود الله ـ ويدخل فيها الظالم لغيره كيفما كان نوع الظلم ـ فيخوّفه من عقاب الله، على الوجه الذي يراه مناسبا لطبيعة هذا التجاوز وطبيعة صاحبها. فقد يكون التلميح كافيا – أحيانا – في هذا الباب، كما كان النبي ﷺ يقول: (ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا ؟) وقد يقتضي المقام التصريح والتعنيف. وإن عجز القائم بالإنكار عن إبداء نكيره فعلا وقولا، فلا أقل من إنكار المنكر بالقلب، وهذه هي المرتبة الثالثة، وهي واجبة على كل أحد، ولا يُعذر شخص بتركها؛ لأنها مسألة قلبيّة لا يُتصوّر الإكراه على تركها.وإذا ضيعت الأمة هذا الواجب بالكلية، وأهملت العمل به، عمت المنكرات، وشاع الفساد والظلم في المجتمع.

رابعا/ النتائج والتوصيات:

1 ـ النتائج:

ورد في الأحاديث التي تناولت الظلم عموما والاجتماعي على الخصوص، معالم عقدية بالغة الأهمية منها: أن الظلم في الدنيا ظلمات في الآخرة، وما يلحق الظالم من عقوبات ربانية في الدنيا والآخرة، كرفع دعوة المظلوم إلى الله مباشرة، ومخاصمة الله للظالم، والأخذ من حسناته وإعطائها لمن ظلمهم، وطرح سيئاتهم عليه وإدخاله النار، كما في حالة المفلس الذي ارتكب كل أنواع الظلم الاجتماعي، وتحريم الجنة على الظالم، وإدخاله النار.

ب ـ في مجال محاربة الظلم أعطت السنة النبوية أهمية بالغة للتوحيد للخروج من الشرك ـ الظلم العظيم ـ الذي هو المدخل والمفتاح للأنواع الأخرى للظلم، وإلا فما يمنع من أسأ إلى ربه بالظلم العظيم من خلال الشرك، وظلمه لنفسه التي بين جنبيه بالمعاصي، أن يظلم غيره بقهرهم، وأكل أموالهم، والاعتداء على أعراضهم، وأكل حقوقهم، وحتى سفك دمائهم ؟ فمن عرف ربه خافه واتقاه، وأحسن إلى خلقه ابتغاء رضى مولاه، ومن لم يعرف ربه تجرأ عليه وعصاه وأساء إلى خلقه.

ج ـ تعرضت السنة المطهرة لمجموعة من أنواع الظلم الاجتماعي من باب التعريف بها، والتحذير من الوقوع فيها، كالمماطلة في تسديد الدين، وعدم دفع أجر العامل، وإعانة الظالم بدلا من إيقافه عن ظلمه، وعدم العدل بين الزوجات، وتفضيل أحد الأبناء بالعطية...الخ.

د ـ ومن أجل القضاء على الظلم عموما والاجتماعي على الخصوص من جذوره أَوْلَتْ السنة المطهرة أهمية كبرى للتنشئة الاجتماعية من خلال إصلاح العقيدة، وغرس القيم الموجهة للسلوك

الإيجابي الصالح، كقيم العدل والقسط، واجتناب الظلم، فهو ظلمات غدا يوم القيامة، بالتنشئة المسجدية، المكان الذي كان يلتقي فيه النبي ﷺ بالصحابة، ومن خلاله تتم عملية التوجيه، لتحصين الأسرة وحمايتها من الظلم، بممارسة العدل والإحسان على مستواها، لتقوم بدورها، في عملية التنشئة الاجتماعية على قيم العدل والإنصاف، والمحبة، وحسن المعاملة والإيثار، فتسهم في استقرار المجتمع بدلا من اهتزازه وزعزعة استقراره.

2/ التوصيات:

إن موضوع الظلم الاجتماعي، يؤثر سلبا على استقرار المجتمع وديمومته وتطوره، وهو ليس الموضوع الوحيد الذي عالجته السنة المطهرة من خلال التنشئة المسجدية، بل كل ما يساعد المسلم على القيام بوظيفة العبادة والاستخلاف في الأرض على الوجه الأكمل، ويحقق فلاحه في الآخرة، إلا وعالجته التنشئة الاجتماعية المسجدية النبوية؛ وتزداد حاجة المسلمين اليوم إلى التنشئة الاجتماعية المسجدية أكثر ـ بسبب ظروف العولمة الغربية، والغزو الثقافي والفكري ـ كصمام للوقاية والأمان، شريطة أن يقدم كل واحد ما عليه من الواجبات نحو المسجد، من الجهة الوصية على المسجد، والأئمة، ورواد المسجد.

أ ـ فالجهة الوصية من مهامها نحو المسجد التكفل به ماديا: في بنائه، وتجهيزه، وإعداد الأئمة الأكفاء لتأطيره كما ونوعا، وتوفير ما يحتاج إليه في جميع المجالات، حتى يؤدي دوره في بناء الإنسان المسلم المتوازن بدون إفراط ولا تفريط.

ب ـ وأما دور الأئمة، وهم المبلغون عن الله ورسوله، ورّاث النبوة، فإن دورهم يتعاظم أكثر بما يقومون به، في عملية بناء الإنسان، مسلحين بالتكوين الجيد، والأخلاق الفاضلة، للتأسي بهم، وإخلاصهم النية لله في القول والفعل، وبذل الجهد والتضحية، من أجل خدمة الدين. ج ـ أما الدور والواجب المنوط برواد المساجد هو أن يتفقهوا في الدين ويعملوا به (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين)[45].

الحواشي والإحالات

1. أحمد الفيومي: قاموس اللغة. كتاب المصباح المنير ـ ،دون دار النشر، دون تاريخ ، ص.146.
2 ـ محمد ابن منظور: لسان العرب، ط1، بيروت، دار صادر، 2000، ، ص.373.
3. الراغب الأصبهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: نديم مرعشلي، دار الكاتب العربي، 1972 ص. 326.
4. علي بن محمد الجرجاني: التعريفات، تحقيق ابراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب العربي، 2002، ص، 186.

5. بتاريخ 4/3/ 2018 الساعة 9.20 صباحا.www.almaany.com. قاموس المعاني.
6. وهبة الزحيلي، أخلاق المسلم، دمشق، دار الفكر، 2002، ص.43.
.بتاريخ 4/3/ 2018 الساعة 9.37 صباحا.
7 . saaid.net/arabic/98.htm
8. محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، عنى بترتيبه السيد محمود خاطر، دط، دت، ص. 317.
أخرجه مسلم في صحيحه عن جرير بن عبد الله ، باب معرفة الركعتين اللتين كانتا، ج4، ص.2059، رقم الحديث.1017. 9.
10. مناع القطان، تاريخ التشريع الإسلامي، ص71_73 بتصرف
11. المائدة:72.
12. أخرجه الحاكم في المستدرك، ج4/ص620، رقم الحديث8717؛ وأخرجه أحمد في مسنده رقم الحديث25449، وفي كتاب/ التبويب الموضوعي للأحاديث، باب/ الشرك والعرافة والكهانة والتنجيم والسحر، ج1، ص.1144. وغيرهم، وصححه العراقي.
13. مجموع الفتاوى لابن تيمية،ط3، تحقيق أنور الباز ـ عامر الجزار، ج7، دار الوفاء، 1426هـ ـ 2005م، ص.78.
14. عبدالله أحمد اليوسف: الظلم الاجتماعي في القرآن الكريم، المملكة العربية السعودية، دون ذكر دار الطباعة، 2011، ص.12.
15. قاموس المعاني الجامع:www.almaany.com
16. معن خليل العمر، معجم علم الاجتماع المعاصر، الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2000، ص ص. 388 .389
17. شيماء ذو الفقار زغيب، نظريات في تشكيل اتجاهات الرأي العام، ط1، القاهرة وبيروت، الدار المصرية اللبنانية، 2004، ص. 23.
18. ورد الحديث في كتاب " مسند الصحابة في الكتب التسعة، باب مسند عبد الرحمن بن صخر(أبي هريرة)، ج3، ص.39، رقم الحديث في صحيح البخاري.2317.
19. ورد الحديث في كتاب السلسلة الصحيحة للألباني، الباب/ أول كتاب، ج2، ص.395. وله شاهد، حسن، رقمه في السلسلة 767.(محمد ناصر الدين الألباني: السلسلة الصحيحة، 7 أجزاء، مكتبة المعارف، الرياض)
20. أخرجه مسلم وغيره عن جابر بن عبد الله، رقم الحديث 2578، الكتاب صحيح مسلم، الباب/ 54. باب معرفة الركعتين اللتين كان، ج 4، ص. 1996. (الكتاب صحيح مسلم موافق لترقيم عبد الباقي)
21. أخرجه الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري "رضي الله عنه" الباب/ الجزء الثامن عشر، ص. 377. (مسند أحمد بن حنبل، ط2، عدد الأجزاء 50، تحقيق / شعيب الأرناؤط وآخرون، الناشر مؤسسة الرسالة، 1420 هـ ـ 1999م).
22. أخرجه الشيخان عن عائشة رضي الله عنها، وغيرهم، ورد في كتاب الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، الباب / أفراد مسلم، ج4، ص.170.(الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، ط2، تأليف / محمد بن فتوح الحميدي، تحقيق/د. علي حسين البواب،4 أجزاء، دار النشر/ دار بن حزم، بيروت، 1423هـ ـ 2002 م)
23. مختصر سيرة ابن هشام(السيرة النبوية) ط 2، إعداد محمد عفيف الزعبي، مراجعة عبد الحميد الأحدب، لبنان، بيروت، دار النفائس،1979، ص ص.106. 107.

24. جزء من حديث ورد في كتاب / مسند الصحابة في الكتب التسعة، باب/ مسند عبد الرحمان بن صخر عن أبي هريرة، ج5، ص. 18. وغير ذلك من المصادر.رقم الحديث في مسند الإمام أحمد 10260

25. أخرجه الشيخان عن أبي هريرة، رقم الحديث في كتاب الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم 2767، في باب/ أفراد مسلم،ج3، ص.244. وغيرهم.

26. اخرجه البيهقي في السنن الكبرى، رقم الحديث 5842، في باب/ من لاتلزمه الجمعة،ج3، ص. 184، وأخرجه أيضا الدارقطني، وغيرهما، وفي سنده ضعف والعمل عليه عند جماهير المسلمين سلفا وخلفا.

27. أخرجه الإمام أحمد في مسنده، رقم الحديث 2033، ج3، ص.475. (مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق / شعيب الأرناؤط وآخرون،

ط.2، عدد الأجزاء 50، الناشر / مؤسسة الرسالة) وأخرجه أيضا الإمام مالك في الموطأ رواية محمد بن الحسن، وغيرهما.

28. أخرجه الشيخان وغيرهما، رقم الحديث 129 بالبخاري ـ طوق النجاة، باب/ من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن،ج1، ص.38.

29. أخرجه الشيخان في صحيحها، وغيرهما، عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، الجمع بين الصحيحين، باب أفراد مسلم، الجزء 1، ص.157.

الكتاب : الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، عدد الأجزاء 4، ط2، محمد بن فتوح الحميدي، تحقيق د/ علي حسين البواب، بيروت، دار بن حزم ، 1423هـ ـ 2002م.

30. ورد في عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، باب العدل بين النساء، ج29، ص.486. كما أخرجه أبو داود في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه، في باب العدل بين النساء، ج2، أخرجه الترمذي في "الجامع" بنحوه وغيرهم في أكثر من 200 موضع في المصادر المختلفة..

31. حديث صحيح، أخرجه الشيخان عن النعمان بن بشير، رقمه في صحيح البخاري طوق النجاة 2586 باب / من انتظر حتى تدفن، ج3، ص.157.

وفي صحيح مسلم عبد الباقي، باب /كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة، ج3، ص.1241، وغيرهم.

32. أخرجه الترمذي في سننه، عن عائشة رضي الله عنها رقم الحديث 3895، باب فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، ج5، ص.709.وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، الكتاب الأول، ج1، ص. 575. رقمه 1174.(السلسلة الصحيحة للألباني سبع اجزاء، نشر مكتبة المعارف، الرياض).

33. رقم الحديث في صحيح البخاري ـ طوق النجاة 67، باب العلم قبل القول والعمل، ج1، ص.24.

34. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان(الرقم 5859) والطبراني في الأوسط (2/ 1/65) والحكم (ج4 /153) من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وهو مخرج في الصحيحة (الرقم2609).

35. أخرجه البخاري عن خولة الأنصارية، رقم الحديث 3118، كتاب صحيح البخاري ـ طوق النجاة، باب / من انتظر حتى تدفن، ج4، ص.85.

36. أخرجه الخمسة عن أبي هريرة وحسنه الترمذي، وصححه ابن حبان، في كتاب/ بلوغ المرام من أدلة الأحكام رقمه 1396، باب/ العقيقة، ج1، ص.550.

37. أخرجه مسلم في صحيحه عن عدي بن عميرة الكندي، رقم الحديث 1833، كتاب صحيح مسلم ـ عبد الباقي،

باب/ معرفة الركعتين اللتين كان، ج3، ص.1465.

38. أخرجه مسلم عن أبي هريرة ، رقم الحديث 102، كتاب صحيح مسلم ـ عبد الباقي، باب/ 54 باب معرفة الركعتين اللتين كان، ج1، ص. 99.

39. ورد في صحيح مسلم ـ عبد الباقي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، رقم الحديث 2581، بباب معرفة الركعتين، ج4، ص.1997. وفي رياض الصالحين، تحقيق الفحل، باب تحريم الظلم، ج1، ص. 169. وأخرجه الطبراني في المعجم الأوسط تحت رقم 2858.

40. متفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه، رقم الحديث 2287، في كتاب صحيح البخاري ـ طوق النجاة، الباب/ من انتظر حتى تدفن، ج3، ص.94.(الجامع الصحيح للبخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، 1422 ه)

41. أخرجه مالك بن أنس في الموطأ عن إياس بن ثعلبة،رقم الحديث 1387.

42. أخرجه البخاري في الصحيح عن بشر بن مرحوم، والبيهقي في السنن الكبرى عن أبي هريرة، وغيرهما، رقم الحديث في سنن البيهقي 11376، الباب/ 125 ـ باب/ تحريم بيع الحر، ج6، ص.14.(السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي لابن التركمان، ط1، عشرة أجزاء، الناشر/ مجلس دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد، الهند)

43. حديث حسن رقمه 2340 في كتاب مسند الصحابة في الكتب التسعة، باب/ مسند عبادة بن الصامت، ج38، ص.78. ورواه ابن ماجة والدارقطني عن أبي سعيد الخدري، وغيرهم.

44 ـ رواه أكثر من صحابي منهم أبو سعيد الخدري، رقمه 1819 في كتاب الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، باب أفراد مسلم، ج2، ص.353. وغيرهم.

45. أخرجه الشيخان عن معاوية رضي الله عنه، ورقم الحديث 71 في كتاب صحيح البخاري ـ طوق النجاة، باب/ من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ج1، ص. 25.

Social Injustice in the traditions of the Prophet Mohamed (S.A.W) An analytical study for its effects and remedies

By: Dr. Bachir Gadra
Associate PR at the University of Batna1

Abstract:

The problematic of this article is related closely to what our societies over the Muslim Ummah is suffering from.

The main Issues in this article is the destructive outcomes of the social injustice in all aspects of our societies,

I choose to trait the subject through the noble Sunnah of the prophet S.W.because it is the second source of the Islamic thought and it is strongly authentic.

The study came in three axes: conceptual framework: addressing the concepts of the basic vocabulary of the study

The second axis reviewed the effects of social injustice in the Prophetic Sunnah.

Then the third axis, how the Sunnah addressed social injustice, through the Medina script, and the socialization of the mosque: with its characteristics, and its strength of values .

And finally the findings and recommendations.

Key words: Social injustice, the Prophetic Sunnah, Effects of social injustice, Socialization of the mosque.